الشباب.. والبناء
فتية الكهف.. الفاروق وابن عباس

«١»

الحديث عن الشباب وإلى الشباب محبب إلى النفس، ينشرح له الصدر؛ لا لأنه يذكِّر من غبر السنين الطوال من عمره بالشباب فحسب، ولكن لأن الشباب كان ـ وما يزال ـ أولية فاعلة من دعائم البناء في صرح الإسلام العظيم ـ وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً ـ؟

ولأن الشباب ـ مع طاقته الفاعلة بذاته ـ عليه المعول ـ بعد الله وبإذنه ـ في الإفادة من الرأي الحكيم، والتجربة الغنية بالعبر والدروس، عند الكهول والشباب، ووضع ذلك على ساحة العطاء في تنمية الحوافز المنتجة وإزاحة العقبات، ومواجهة المعضلات بإيمان وصبر دائبين، الأمر الذي يسعف في متابعة الطريق الصاعدة، ويحول دون التراخي والانهزام!

ولقد كان للكلمات النورانية في القرآن الكريم عند التعريف بأصحاب الكهف في سورة «الكهف» موقع بالغ التأثير عند أئمة الهدى والرواد؛ فقد تخذوا من قوله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣] معلماً من المعالم الخيِّرة الهادية على طريق الريادة في بناء الفرد والجماعة، هداهم ـ بجانب ما تلد الأيام من أدلة ووقائع ـ إلى أن الاضطلاع بعبء التحويل الجذري في حياة الأمة: لا بدَّ له من شباب نشؤوا في طاعة الله على العلم النافع والإخلاص في الدين، يندفعون بقوة الإيمان والثقافة الأصيلة، ويستضيئون على طريق المصاعب والابتلاء بنور الهداية الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فتنمو طاقاته الإيمانية، وقدرته على المواجهة مع النفس من الداخل، ومع العدو من الخارج وتزداد؛ لما أنه ـ بذلك ـ يأوي أبداً إلى ركن شديد!

من هنا كان حرص الإسلام على التربية المتكاملة، وبناء شخصية الشباب على العلم النافع والخير والهدى، وتنمية طاقاتهم الفكرية والجسمية، وحب الجدِّية في العلم والجهاد، وإحاطتهم بسياج من سيرة السلف في الماضي، والمعرفة بالواقع ـ كما هو ـ في الحاضر.

ومن ثمرات ذلك ـ كما دلت الوقائع ـ: حفظ الطاقات من التبدد والضياع، ووضعها في إطارها الطبيعي المناسب، كيما تكون عنوان فلاح لأصحابها وللأمة، لا عوامل هدم وتيه ـ لا سمح الله ـ كما يُرى في الأجواء التي تهتك فيها الموازين وتصادر الحريات، وتضطرب المعايير، فتنقلب الأمور رأساً على عقب، حيث يطغى سلطان المقولة الفرعونية: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص:٣٨].

وعلى هذا الدرب المستنير في تعظيم الحق وأهله، ووضع الأمور مواضعها على كل صعيد: تأسياً بالرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام: كان عمر رضي الله عنه يعامل الشباب معاملة هي كفاء قدرتهم ـ عندما تتوافر لهم التربية الحقة ـ على البناء والعطاء.

روى الإمام البخاري «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ قال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعاني ذات يوم، فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليُريَهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلتُ: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعْلَمَهُ له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ وذلك علامة أجل ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول».

هكذا فعل الخليفة الثاني رضوان الله عليه، وهو يتابع مسيرة البناء التي أرسى قواعدها رسول الله ﷺ، وسار على طريقه الميمونة خليفته الصديق أبو بكر رضي الله عنه فلم يَحُل دون ابن عباس ودون الدخول عليه مع أشياخ بدر ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ وهو في سن أبنائهم. إذ رشحه لهذا ـ وهو ما يزال فتىً على عتبة الشباب ـ علمه وفقهه في الدين، وحسن تأويله للقرآن ـ كما دعا له رسول الله ﷺ بذلك ـ وهو في هذه السن المبكرة، وكان الجميع ـ بعد هذا ـ راضين كل الرضا عن نهج عمر رضي الله عنه في ذلك؛ فحرام أن تنحسر عن عملية البناء الكبرى التي يضطلع بها المسلمون على كل صعيد: طاقة فاعلة مؤثرة كتلك التي أعطيها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وتلكم هي الركيزة المتوخاة ـ دائماً ـ لرحلة التحويل إلى ما هو خير وأقوم لهذه الأمة.. شباب تزينهم كفايات في كل مجالٍ مفيد، وتخصصٍ نافع، وقدر كافٍ من المعرفة المؤصلة بالإسلام، وحرص على الانتفاع بتجارب من سبقهم، وتوقيرهم وإنزالهم منازلهم كما توجب أخلاق الإسلام، ويقتضيه الإخلاص في عملية البناء والنماء.

ومن وراء ذلك كله: عقيدة سليمة، ضياؤها التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة رياء أو تلفُّت، عقيدة يشرق بها القلب، وتنعكس آثارها على حركة الجوارح، وأخلاق هي أخلاق خير أمة أخرجت للناس، لا تفقد واحداً منها في أي وجه من وجوه التأسي بالرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي حمِّل أمانة الوحي على رأس الأربعين.

* * *

obeikandl.com

الشباب.. وطموحات الأمة في البناء وأصحاب الكهف

«٢»

حين نكون صادقين مع أنفسنا في صياغة الشباب ـ وهم الأمل بعد الله ـ صياغة متكاملة عليهم من أن ينهضوا بعبء البناء، ويزيدوا بطاقاتهم إمكانات الأمة نمواً على طريق صراعها مع التخلف والضعف: يكون من الضرورة بمكان أن نعيد قراءة منطلقاتنا في الكتاب والسنة والسيرة وتاريخ الرجال، بوعي وإدراك، كيما تسلم لنا الخطوة الأولى في هذا المنهج، ونعيدَ مرحلة بعد مرحلة، من كل مقومات الإعداد والبناء، غير غافلين من واقعنا، ولا عن الواقع العالمي في دنيا الناس.

ففي كلمات قريبة جدٍّ قريبة على هذه المساحة من القول: كان لنا من بعض الآيات الكريمة التي عرَّفت بالبُنية الفكرية والسلوكية لأصحاب الكهف في سورة الكهف: وَاحدٌ من معالم الهدى، وضعنا أمام القاعدة التي قامت عليها هذه البُنية، وأشرقت بسناها مقوماتهم الشخصية، الأمر الذي جعلهم جديرين بمكرمة أن يذكروا في القرآن هذا الذكر الحسن. كان ذلك في قوله ـ جلت حكمته ـ في هذه السورة، خطاباً للنبي ﷺ: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴿١٣﴾ ﴾ فهم مؤمنون يزيدهم الله هدى على طريق صراعهم مع الباطل.

ومن حق هذه المرحلة التي يمرُّ بها الجيل المعاصر، وهي مرحلة تَتَّشح بواقع لا يُرضي، ويُثقلها ما يَرى الجيلُ وما يسمع ويقرأ مما يبعده أو يقربه من ساحة الولاء لأصوله الأولى وأمته صاحبة الرسالة الخاتمة وخيرِ أمة أخرجت للناس.. أقول: من حق هذه المرحلة أن تُتبَعَ الإشارة الماضيةُ القريبةُ بشيء من الإيضاح، يتيح تَبيُّنَ حجر الزاوية في الموضوع، والكشفِ عن أن العناصر والمقومات التي عُرِفَ بها أصحابُ

الكهف: تتمثل في أنهم ـ وقد أكرموا بالإيمان وزيادة الهدى ـ فتية في مقتبل العمر، يتنسمون الحياة من خلال أردان الشباب، وحيوية الشباب.

ويمكن أن نقدرَ الأمر قدرَه إذا علمنا أن هؤلاء الفتية كانوا على بسطة في الرزق، ويُسرٍ يمكنهم من كل ما يرغبونه من متع الحياة الدنيا لو أرادوا ذلك؛ فهم أبناء ثراء وسلطان ووجاهة في قومهم.

وهؤلاء الشباب الناعمون المترفون الذين الآن يغدون ويروحون وكل ما حولهم ظلماتٌ من ظلمات الدنيا بعضها فوق بعض! عبادةً لغير الله، وظلماً، وعدواناً على الأخلاق والحرمات.. هؤلاء الشباب آمنوا بربهم الواحد لا شريك له، آمنوا به وأسلموا وجوههم إليه، وكلٌّ من حولهم من القوم يدين ـ خاضعاً ذليلاً ـ بما هو حرب على عقيدة التوحيد. والسلطةُ الباغيةُ العاتيةُ لكل من يقول لا إلَه إلا الله بالمرصاد. ولقد شاء الله أن يكون هؤلاء الفتية الشبابُ محطةً من محطات البناء الذي تسعد به الإنسانية في التاريخ، وأسوةً طاهرةً نقيَّةً تُغني على طريق الريادة والعمل: مشاعرَ الصدق والاستعلاء على المعوقات، فزادهم الله على هدايتهم هدىً ونوراً، وأكرمهم بأن ثبتهم على الحق وربط على قلوبهم في مواجهة المحن، يوم هدّدهم الطاغية بالويل والثبور إذا لم يعودوا إلى عبادة الأوثان، بل وفي مواجهة تحديات المجتمع الجانح عن طريق الهدى، الوالغ في الضلالة، والصدِّ عن سبيل الله ـ وبخاصة أهل الأمر والنهي فيه ـ.

إنَّ موطن العبرة في هؤلاء الشباب.. أن هذه المرحلة من مراحل العمر إذا خصت بالإعداد المتكامل، ووجهت طاقاتها بعناية، ووضعت كل طاقة بمكانها: أن تغني طموحات الأمة على طريق البناء وما تتطلع إليه من تنمية القوة الخيِّرة الفاعلة عند أبنائها، وهو ما يطمح إليه الصادقون المخلصون، ويناوئه أعداء الأمة أجمعون.

* * *

الشباب.. والبناء وأصحاب الكهف

«٣»

لم يكن كثيراً على الفتية أصحاب الكهف والرقيم الذين آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربط على قلوبهم: أن يطمئنوا ـ في مهب العواصف ـ بما أكرمهم الله به من عقيدة التوحيد، وأن يكونوا رسل بناء محكم القواعد في مرضاة الله عز وجل، ورواد تنمية للحوافز الإيمانية تتناول الفرد والجماعة على حد سواء.

وكما تضيء الجزيرة النيرة في بحر من الظلمات.. قاموا فأعلنوا ـ والسلطان القاهر على الحياة وأهلها مُطْبِقٌ في ديارهم ـ أن خالق السماوات والأرض هو الجدير بالربوبية والإفراد بالعبودية ـ ولن يتحولوا عن ذلك أو يركبوا متن الشطط فيقولوا على الله غير الحق..

أما ما عليه قومهم من الشرك وعبادة الأوثان: فهو الضلال المبين بعينه، وهو طريق يسلكونه عمياً وصماً لا تنهض له حجة، ولا يقوم على صلاحه دليل.

وذلكم هو الظلم الذي لا ظلم يداينه في هذا الباب، وحسبك أنه افتراء على الله الكذب، بأن له أنداداً يعدلونه بها عبادة واستعانة، وهي لا تضر ولا تنفع ولا تغني عنهم شيئاً؛ فلا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً!!

نقرأ في ذلك قول الله تبارك وتعالى في شأن أولئك الفتية الأبرار: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾**﴾[الكهف: ١٣-١٥] .

إن أمتنا ـ وهي تصارع الركام المتعدد الأسباب، وألوان المصاعب الداخلية والخارجية على طريق البناء الطموح الذي يمهِّد ـ بعون الله وفضله ـ لأن تأخذ ـ من جديد ـ موقعها الرائد في العالمين، ولأن يتحقق لها ما يطمح إليه الأمناء فيها

على أن يكون لها ـ مع ذاتية القرار ـ إمكاناتها الفاعلة المؤثرة في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد والعلم والاجتماع، والتي لا تعوزها مقومات النمو كما تقتضيه سنن العلم وتخطي العقبات.

إن أمتنا ـ وهي تحاول أن تقطع هذه المرحلة ـ مدعوة أكثر من أي وقت مضى إلى أن تتفاعل عقولاً وقلوباً مع الذي تزخر به معالم الكتاب الكريم من عطاء خيِّر، ونور يبصِّر مسالك الطريق، وشعاب الحركة النافعة المتجددة، ومن ثمرات ذلك: ما تجنيه من مضاعفة القدرة على بناء شخصية الإنسان نبراس هداها ومحور سلوكها والمرشح دائماً لوضع كل أمر موضعه المنتج المثمر في مختلف الميادين؛ لأن انحساره عن مسيرة الحياة ـ كما يحلو للطغاة أن يكون ـ خسران مبين للأمة. ولكن الظالمين لا يعقلون.

وفي المقومات الخيِّرة القوية التي ذكرها القرآن الكريم عند التعريف بأصحاب الكهف والرقيم ـ وهو يوجه إلى أن لا تكون أمتنا مغيبةً عن التاريخ ـ: درس واضح ـ بل دروس ـ تتخطى العنصر التاريخي إلى منهج بناء الإنسان المسلم الذي تريد الأمة أن تواجه به الملمات، الإنسان الذي لا يجوز أن يغيب عن ساحة العطاء المتنوعة أبعاده ومراميه، نعم، الإنسان الذي تلقى على عاتقه مهمة الإعداد لما يجب أن يكون في ظل رسالة الإسلام، وأن يكون على مستوى استخدام منجزات العلم لتنمية كل من شأنه دفع الأمة في مجتمعاتها لأن تتجاوز بإيمان وبصيرة مرحلة الرواد والحيرة، وتتخطى ـ وهي تعاني من حدة المواجهة ـ ما نبت على طريقها عبر السنين من صعاب، والله المستعان في كل حال.

ألا إن كل ميدان من الميادين التي تكتنف حياة أمتنا الماجدة، بحاجة إلى الشباب الذين زين الله في قلوبهم الإيمان، وزادهم هدىً، وربط على قلوبهم، وهم في قلب معركة الحق..

أجل بحاجة إلى الشباب، علماً، وثقافةً، وجهاداً، واقتصاداً، وقدرة على تفسير التاريخ والنفاذ في اكتشاف النسب بين حلقاته في الماضي والحاضر، وكل أولئك في إخلاص لله تبارك وتعالى يتحقق معه بناؤهم، وتنمية قواهم، ومؤهلاتهم، على هدي ما امتدح الله به الفتية المؤمنين أصحاب الكهف، وعرَّف بهم حين قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[الكهف: ١٣-١٤] .

وعلى هذا الدرب الموصول بمنبع الهدى في المنهج القرآني، كان أكثر الذين حملوا عبء الرسالة، مستجيبين بصادق الوجهة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام: من الشباب.. وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً، ضربوا أروع الأمثلة على صدق إيمانهم وحبهم له عليه الصلاة والسلام، ورغبتهم في الفوز بالشهادة في سبيل الله، في حين أن المشايخ من قريش، بقي عامتهم على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل - وهو قليل خيِّر مبارك والحمد لله -. وتوالت قوافل الأبرار الأتقياء الأنقياء من الشباب عبر السنين، تبذل في سبيل الله وتقتحم الصعاب، غير غافلة عن الانتفاع بتجارب الشيوخ ووضع كل أمر موضعه في طاعة الله.

* * *

obeikandl.com

مرة أخرى.. مع الشباب.. وأصحاب الكهف

«٤»

بين يدي ما أعمد إلى سوقه من الكلام في هذه العجالة، أود التنبيه على ما قد يسبق إلى بعض الأذهان عند الحديث عن أصحاب الكهف والرقيم: أن المسألة كلها سَداها ولحمتُها نومتهم الكبرى فحسب، الأمر الذي يجيز بعض الناس لأنفسهم - من خلاله - إطلاق هذا العنوان على من يكون بعيداً عن نبض الحياة، وإدراك الواقع بأبعاده المتشعبة في تصرفاته!!

والذي ينبغي أن لا يغرب عن البال، ولا يغيب عن خاطر المؤمن: أن ما لبثه أهل الكهف في كهفهم - وهم نائمون نومتهم الكبرى - من السنين التي أربت على الثلاث مئة - كما جاء في القرآن الكريم - كان آية من الآيات البينات التي دلَّت على قدرته تعالى - وما أكثر الدلائل على ذلك - وأنه هو المدبر الحكيم لهذا الكون بما فيه ومن فيه، على سُنن له أن يجريها أو يتجاوزها في بعض الوقائع - إذا شاء - لحكمة يعلمها، ويضعها موضعها على طريق الهداية لعباده، وهو - جل شأنه - يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. ولا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[الكهف: ٢٥-٢٦] .

فمن أجل أن يكون منهج التفكير في هذه القضية على سواء الصراط من الواجب أن لا يحملنا شيء على نسيان الهدف الكبير المرتبط ببناء الإنسان على النهج الذي يرضى عنه خالق الإنسان، وهو ما يُوحي به إبراز ما تحلَّى به أولئك الفتية البررة من الإيمان بربهم، والفوز بما زادهم من الهدى، وأنهم وقفوا تلك الوقفة الإيمانية التي تستعلي على رغبات الدنيا وشهواتها وهم في ميعة الصبا وعنفوان الشباب!

فعلى كل ما لدى الشباب من مطالب الغريزة والهوى، والرغبة في متع الحياة من هنا وهناك، وما لحب العافية وخوف البلاء من سلطان: كانوا أقوى من ذلك كله بما ذاقوا من حلاوة الإيمان، وبما ربط الله على قلوبهم وثبت منهم الأقدام!

وتتبدى إضاءة هذا الموقف أكثر وأكثر: إذا وضعنا ما كان عليه المجتمع من الانحراف عن الحق، وطاعة لأعداء التوحيد، في إطاره الطبيعي من المسألة برمتها!

وهذا العنصر من عناصر التكوين الحقيقي للفرد والجماعة والأمة، هو الذي تبدو الحاجة إليه أشد وأشد، عندما يصطلح الجيل بمهمة التغيير بدءاً من الذات، دون فوضى تستحكم أو ردود فعل تأخذ بالعاملين ذات اليمين وذات الشمال، وتلك هي سمة البُناة الواعين المخلصين عبر التاريخ.

فهؤلاء الفتية الذين انشرحت صدورهم للإيمان، وزادهم الله هدىً، وربط على قلوبهم ـ على كل ما يتوقعون من بطش الطاغية الوثني، ومما لأته الرأي العام الجاهل في مظاهرة الوثنية والعدوان على التوحيد ـ ظلت أقدامهم ثابتة على درب الشجاعة الإيمانية الفاعلة، وترجموا ذلك بالبيان الواضح لما هم عليه، ولما عليه قومهم، الأمر الذي يتبدى معه الفارق الأساسي بين طريق الشرك وعبادة الطاغوت، وبين التوحيد الخالص الذي هو عقيدة الفطرة، وبه تتحقق إنسانية الإنسان﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾[الكهف:١٥]

إنه الوعي وعمق الإدراك؛ فليست القضية قضية عاطفية جامحة، أو رغبة جانحة، ولكنها قضية الإيمان الذي وقر في الصدر بالحجة والدليل، فكان الثبات والطمأنينة، وليقض الطاغية ما هو قاضٍ، فإنما يقضي هذه الحياة الدنيا، والصابرون طوبى لهم وحسن مآب.

أرأيت إلى الشباب حين تتوافر لشخصيتهم سلامة البناء، فتكون بواعث العمل ذاتية تنبع من قلب متصل بالله، والحوافز تسقيها وتنميها العقيدة التي لا يغني غناءها شيء! كيف يكونون على حال من القدرة على التزام الحق، والاضطلاع

بالمسؤوليات الكبار، بشجاعة وفهم وإدراك، متوكلين على الله، جديرين بالارتفاع فوق الجهالة والصغائر التي تبعث على التماوت والاسترخاء والتلهي بمحقرات الأمور.. إلى حيث العزائم المعقودة، والهمم العالية الغالية في مرضاة الله والجهاد في سبيله.

مرة أخرى: إن من النصيحة للشباب ـ والأمة تنشد من خلالهم بعون الله تغييراً إلى ما هو الأفضل ـ أن يحسن أهل القدرة الاختيار، اختيار البذر والوقت والمناخ، لتكون لنا ـ بفضله تعالى ـ الثمرة المرتجاة، كما دل على ذلك المعلم القرآني الكريم، والله غالب على أمره، وهو المحمود على كل حال.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

مع الشباب.. والبناء.. وطبيعة المرحلة
فتية آمنوا بربهم.. وزادهم هدى

«٥»

حين نمكن للشباب ـ من طريق البناء الذاتي ـ وتهيئة الفرص المؤاتية لذلك، وإزالة العوائق المتكئة على حظوظ النفس والهوى، وبواعث الدعة والخمول، وما يكون من نزعات تشل الأيدي عن الحركة، تجدهم ـ وقد انتصروا في هذا الميدان من ميادين الجهاد ـ أقدر على الغلبة عند جهاد الأعداء، موفين بما عاهدوا الله عليه، صادقين في الإنابة إليه.

ولعل ما يقال على هذه الساحة، وما يمكن أن يقال: بعض مما يوحي به قوله تعالى في شأن من وقفوا وقفة الصدق المؤمنة في مواجهة الطغيان الوثني الظالم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. وما هو من نظائر ذلك في كتاب الله وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام وسِيَر أهل الصدق المجاهدين.

وفي مواجهة الحياة وشؤونها اليوم ـ على ما هو معلوم من تعدد ألوان الانتماء والثقافة والتطور العلمي وما إلى ذلك ـ تظهر آثار البناء الذي يحكم الجيل أو الأجيال، وما تفعله تنمية مشاعر الخير التي لا تفتقد الذاتية والأصالة، وما يُحدثه الحسُّ الجماعيُّ والرغبة فيما يوجبه الإيمان من الإسهام في مظاهرة الصالح العام الذي يعود على المجتمع بالنفع الجزيل والخير العميم.

إن عناية القرآن بتحديد مرحلة العمر التي كان يمر بها أصحاب الكهف والرقيم، عندما استعلت كلمة الإيمان على ألسنتهم، وانعكست آثارها على سلوكهم، بأنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى.. شاهد صدق على ضرورة أن يُنظر إلى مهمة إعداد الشباب في ضوء هذا المنطلق من العقيدة والثبات على الحق، وتجاوز الأنا إلى

مصلحة الجماعة.. على أنه أمر جوهري يتعلق بكيان الأمة، بدءاً من الفرد ومروراً بالجماعة، كما يتعلق بالاهتمام بالمنهج الذي يراد له أن يكون قاعدة البناء الفكري والعملي عند الشباب، دون إغفال ما هو المناسب للفتية وما هو المناسب للفتيات في الأسلوب. وإن كان المنطلق واحداً للجميع.

وفي تاريخنا الإسلامي: معالم ومؤشرات تؤكد ذلك، على مستوى الوقائع في كل ميدان طرقت أبوابه حضارة الإسلام التي لم يبارحها المنهج الهادي في كل سبيل.

فخلايا البناء والنماء في ميادين الثقافة والجهاد والاقتصاد وغيرها، كان الذي يغطي مساحاتها ـ في الأعم ـ على تعقيدها وتلافيفها بعض الأحيان.. الشباب؛ ذلك بأنهم ـ بجانب قدرتهم الذاتية التي تقتضيها طبيعة السن ـ كما سبق أن أسلفت ـ هم المؤتمنون على أن يوظفوا حصاد التجارب عند الكبار، وما يكون من الحكمة والتدبر عبر السنين وتلوُّن الوقائع، على طريق تغني فاعلية الأمة، وتحول دون التفكك وفقدان الذاكرة أو استرخائها وانقطاع حبائل التاريخ، وتزيد من قدرتها على الخطوة المناسبة في الوقت المناسب، سيما وأن آباء هؤلاء الشباب الذين غبروا ما غبروا من السنين في معترك الحياة، كانوا شباباً أمثالهم..

إن بمقدور التربية ـ في أساليبها الحديثة ووسائل الإعداد النفسي والعقلي والجسمي ـ أن تتحسّس ذاتية الأمة ورسالتها المرتبطة بوحي السماء دون تجاهل للواقع، فتبدأ انطلاقتها من القاعدة التي دل عليها واحد من معالم الكتاب العزيز ـ وما أوفر تلك المعالم في الكلام المعجز وأعظم سناها ـ في سورة الكهف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾.

والتعبير المعجز في قوله جل شأنه ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ واضح الدلالة في أن التربية الإيمانية، تتيح الصعود الدائم إلى ما هو أسمى وأعلى، وتُظفر صاحبها بزيادة هدى الله الذي يفتح المغاليق ويذلل الصعاب، ويحدث في النفس ما يحدث من الرغبة في الاستزادة من الخير والعطاء دون مبالاة بما يعترض من العوائق ما دام ذلك في مرضاة الله!

وما أعظم أن تتفتح البصائر، ويعطي المربون ما يجب من الأهمية لبذر تلك البذور الخيرة التي تحتضنها التربة الصالحة المهيأة لذلك، الأمر الذي يعود على الأسرة والمجتمع والأمة بالنماء والعطاء، خصوصاً وأن الإسلام منهج حياة، وطريق سعادة في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

إن كل كلمة تزجى في هذه السبيل ـ مسموعة كانت أو مقروءة أو مرئية ـ وكل نفقة صغيرة أو كبيرة على هذه الساحة ـ مما يضمن سلامة القاعدة الإيمانية، وتكامل الإعداد في القلب والعقل والجسم والفكر: هو في صالح الشباب ـ ذكوراً وأناثاً ـ وصالح الأمة؛ لأن المهم أن يتربى الشباب على ما يسعدهم ويحقق وجودهم الذاتي بالإسلام في الدنيا، ويقيهم عذاب الله في الآخرة، وأن يُحسن إعدادهم للمهمة الصعبة مهمة البناء المتكامل، والتوعية على المشاركة في عملية النماء والتغيير إلى ما هو الأفضل بصدق وإخلاص.

وإنها لمهمة مباركة ضخمة، كفاؤها فتية مؤمنون ـ وهذا على التغليب ـ يتطلعون إلى ما عند الله ويحسنون الإفادة ـ بعلمهم ـ من الوسائل المتاحة في مواجهة الحياة، فيحسنون حاكمين ومحكومين، ويحسنون علماء متخصصين، ومجاهدين مقارعين، وأصحاب أعمال وأموال منتجين، وسبحان من يوفق من شاء لما شاء وله ـ جل شأنه ـ عاقبة الأمور.

* * *

obeikandl.com

نبأ الفتية المؤمنين.. التدبر والبناء

«٦»

كلما طالت صحبتك لكتاب الله في معالمه ونور هداه وجدت نفسك لهجاً ـ أكثر وأكثر ـ بذكر من أنزله رحمةً وشفاء لما في الصدور، مسوقاً إلى حمده ـ جل وعلا ـ بمحامده كلِّها، أن يسَّر القرآن للذكر، فأعطى المؤمنين ـ بفضله ـ أسباب الاتصال بمنبع الهداية، وفتح لهم مغاليق المعرفة، فسعدوا بأنوار الكلام الأزلي، وكان لهم بذلك خير الدنيا والآخرة.

رأيتني وهذه الكلمات يجري بها قلمي الضعيف، بعد أن تأملت ـ في ضوء ما ألمحت إليه من حديث أصحاب الكهف والرقيم ـ فواتح سورة الكهف وخواتمها، والآيات التي كانت واسطة العقد بين الفواتح والقصة!

فالذي يبدو من خلال التصور الإيماني الدقيق لعملية البناء الجذري الذي تحكمه ضوابط الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» في المجتمع.. البناء الذي ما بدٌ من أن يسبقه التعفية على عقابيل الضلال إزالةً للعوائق، حين تكون جولة الباطل هي المستحكمة ـ: أن عناية القرآن بإبراز المقومات الأولى لوجود أولئك الفتية المؤمنين المنعم عليهم بزيادة الهدى، الذين قالوا: لا ـ بملء أفواههم ـ في وجه الوثنية. وقالوا: لا ـ بكل شجاعة واعتزاز ـ في وجه الطغيان والفساد، وفوضى الفكر والعمل في المجتمع.. أن هذه العناية ـ بأسلوبها المعجز ـ جزء من الصورة في إبراز ما اتصف به أولئك النفر من الشباب الذين يواجهون الحياة وهم في مقتبل العمر!! حين واجهوا الواقع بثبات لا يعوزه الرضا وطمأنينة التسليم لأمر الله!

فهم فتية شرح الله صدورهم للإيمان بربهم، ذلك الإيمانَ المكين. وعلم ـ جل شأنه ـ صدق هذا الإيمان وإخلاصهم فيه، فزادهم هدىً، وربط على قلوبهم، في

مواجهة الباطل وأهله؛ فكانوا ـ بحق ـ النموذج الأمثل للشباب المؤمن الواعي، الذي لا يصرفه عن الموقف الإيماني صارف رغب دنيوي ولا رهب. وكل ما يطمح إليه: الظفر بمرضاة الله تعالى، وحس العاقبة يوم الدين.

أما الجزء الآخر من الصورة: فيكمن ـ والله أعلم ـ في موقع صفاتهم من القصة بتمامها. وفي موقع القصة نفسها من سورة الكهف بكامل آيها.

وذلك ما يعطي المعلم القرآني تكامل ضيائه في هذا الموضوع على سلم الهداية التي هي المطلب الأسنى في آي الفرقان.

ذلك بأن فواتح السورة وخواتمها، والآيات التي كانت واسطة العقد بين ما قص الله من نبأ أهل الكهف والرقيم بالحق، وبين ما تلاه في السورة نفسها، قد حملت المبادىء التي لا ينهض بأخذ الأنفس بها إلا أولو العزم والبصيرة الموفقون؛ ومن عيون هؤلاء البررة شباب تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم، فيندفعون بمنهجية واعية إلى تحقيق مقتضى الإيمان والوفاء بعهد الله، في أنفسهم وفي الآخرين ما أمكنهم ذلك.

ومقتضى الإيمان، والوفاء بعهد الله الذي يعاهد المؤمن ربه عليه: منهج رباني يبعث يقظة العقول والقلوب لذلك في جوانب المجتمع كافة، فضلاً عما ينشىء في نفس الفرد والجماعة من رغبة ذاتية في البناء المرضي لله، المحكمة لبناته على نور من الله، وينمي ـ من خلال صلة العبد بخالقه الحكيم ـ روح التفاني في نصرة الحق، وإحلال اتقاء الله محل الرغبات الهابطة والهوى.

ولا تسل عما يصنعه ـ بعون الله ـ من مضاعفة القدرة على المثابرة والاستمرار في سلوك الطريق الصاعدة المزدانة ـ على كثر تكاليفها ـ بالعطاء، مهما تكاثر الهدامون على اختلاف صورهم ومواقعهم هنا وهناك، وأشبعوا نَهَمَ باطلهم بالزخرف والتمويه والوعد والوعيد!!

والحق أن القراءة الواعية المتدبرة المقترنة بالإخلاص في طلب الهداية.. لفواتح سورة الكهف وخواتمها، وما سبق قصة الفتية المؤمنين الذين أكرمهم الله بزيادة الهدى والربط على قلوبهم من آيات..

إن هذه القراءة الأمينة المتدبرة التي يشرق نورها بإشراقة القلب المطمئن بذكر الله: تحمل على المزيد من الاقتناع بأن نُسُغَ الحياة في سواعد من يقدرون كلمة الحق والجهاد في سبيل الله حق قدرها، ويناط بهم التحويل، والتطوير على سلم الكمال: إنما هو البناء الذي يستقطب ـ مع الإفادة من تجربة الشيوخ وقراءتهم للتاريخ ـ كل عناصر القوة المادية والمعنوية في الشباب، ويضعها حيث يتسنى لها أن تؤدي وظيفتها بمنهجية دقيقة متكاملة في حقول ما تنشد الأمة للفرد والمجتمع من البناء الذي لا يفتقد فيه ـ مع نصيب الدنيا ـ التطلع القلبي والعقلي إلى الآخرة بجدية زخرت بالدعوة إليها نصوص الكتاب والسنة، وأشرق بها سلوك السلف الصالح ـ على اختلاف المواقع ـ ممن وُفِّقوا لصدق الانتماء إلى أمتنا الماجدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس. وحبل الخير متصل ـ إن شاء الله ـ ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

مرة أخرى.. مع الفتية والتدبر

«٧»

كان مما أشرت إليه فيما سبق من القول في دلالات قصة أصحاب الكهف والرقيم: أن العناية بإبراز الكلمة القرآنية للصفات التي تميز بها أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم ربهم هدى في مجتمع يئن من ثقل الوثنية والطاغوت: إنما تتكامل صورتها إذا لوحظ موقعها من فواتح سورة الكهف وخواتمها، والآيات التي كانت واسطة العقد بين الفواتح والقصة.

وفي ذلك نقرأ قول الله جل ذكره في مستهل السورة المكية: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[الكهف: ١-٥].

ففي هذه الآيات المباركات ـ كما نرى ـ تنبيه على وجوب حمد الله الذي أنزل على عبده محمد ﷺ القرآن قيِّما لا عوج فيه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر الحسن من لدنه، وينذر الكفرة الزاعمين أن لله ولداً بنار السعير.

إذن هنالك في العهد المكي تذكير يحفز المؤمنين ـ على قلة عددهم وضعف سلطانهم أو انعدامه ـ إلى تبيُّن القيم التي يطرحها القرآن الكريم، وإلى طبيعة المهمة الملقاة على عواتقهم في بناء صروح الحق والذود عنه، وهدم معاقل الباطل وإزاحة أكداره المظلمة من النفوس.

وقبل هذا وبعده: لا بد من توافر الرغبة الصادقة في هداية الخلق إلى الصراط السوي، والحرص ـ بمنهجية مثلى ـ على أن يكون بناء المجتمع ونماء قوته الفاعلة، امتداداً طبيعياً للعقيدة السمحة التي لا معدى عن أن تكون ـ على وجه الحتم ـ قاعدة البناء، ومنطلق الحركة فكراً وعملاً وسلوكاً.

وفي ظل ذلك وصل الأمر برسول الله ﷺ، أنه كاد يهلك نفسه حزناً ولوعة على الناس، وحسرة على أولئك الكفار إن لم يتحولوا عن ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان، فيكونوا عناصر خير وفلاح، ينجون من عذاب الله يوم القيامة، وتنمو بهم طاقات الجماعة على طريق الخير، ويمحون بحركتهم في المجتمع أوضار الجاهلية والفساد التي يحقق به هنا وهناك.

ذلكم ـ كما رأينا آنفاً ـ قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

أي فلعلك مهلك نفسك أسفاً عليهم إن لم يؤمنوا بالقرآن وما أرسلت به. ثم جاءت الكلمات النيرات على قصة أصحاب الكهف، التي نقرأ في بعض آيها قول الله سبحانه، خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام ـ وفي ذلك ما فيه من توكيد لأهمية القاعدة الإيمانية في البناء ـ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[الكهف: ٩-١٤] الآيات.

وإذا وقفت وقفةً متدبرة متأنية عند الآيات السابقة، وما طرحت من قيم، وقررت من مبادىء: رأيت قصة أصحاب الكهف تجيء في موقعها ـ شأن القصة القرآنية على سلم الهداية في الكتاب العزيز ـ من تحديد الصفات الأساسية للإنسان الذي يناط به ـ كما أراد له ربه عز وجل ـ مواجهة التيار الطاغوتي، وريادة الطريق إلى ما هو الأقوم والأهدى سبيلاً، للقضاء على عوامل الفساد والتخلخل في المجتمع، والإقبال على البناء الإيماني الذي يشمل بنى المجتمع كافة، بروح جماعية تتجه بأصحابها وجهة الحضارة الإنسانية المؤمنة التي ينمو في ظلها العلم بجانب الإيمان، والأخلاق مع الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع..

كل أولئك وفق منهج رباني حكيم يضع الأمور واضعها، ويرتفع بملتزميه إلى حيث التكامل والنقاء، والتقوى والصفاء.. وسبحان من أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى الناس يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة الفتية.. والبناء على أرض الواقع القيم.. والشباب

«٨»

المؤمنون في مكة ـ على قلة عددهم ـ يصارعون الباطل تحت راية الحق، والقرآن ـ مشفوعاً ببيان النبي عليه الصلاة والسلام ـ يسير بهم خطوة بعد خطوة على دروب التحويل المرتقب، تحويل المجتمع المثقل بأوضار الجاهلية في أفراده بدءاً من داخل النفس، وسلطان العقل والقلب، وفي بناه الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وما إليها، ومفهوماته عن علاقة الإنسان بالكون، وعلاقته بأخيه الإنسان: من حال إلى حال.

ذلكم هو مشعل الضياء المؤذن بالتحويل في تاريخ البشرية: وحيٌ يتنزَّل منجماً بخطاب الهداية، ورجال جلُّهم من الشباب، ونساء مثل ذلك أو قريب منه، يصوغهم الوحي ويربيهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه على عينه، فيرتفع بهم إلى مستوى البناء المحكم الراسخ الذي تمتد جذوره في أعماق الفرد والجماعة التي يتكون منها المجتمع.

وفي حديث موصول بما العهد به قريب من الرحلة العجلى مع فواتح سورة الكهف، وما دل عليه إبراز صفات الفتية الذين آمنوا، وأكرمهم ربهم بزيادة الهدى: من أن الذين يناط بهم وضع اللبنات الصالحة الأولى على طريق التحويل المطلوب للمجتمع تحويلاً سداه ولحمته الصلاح بعد الفساد، لا بد أن تكون لهم ـ مع المقومات الأخرى ـ هذه المؤهلات..

في حديث موصول بذلك: لا بدَّ من الإلماح إلى ما نجد من ختم القصة بقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف: ٢٦] .

وها نحن أولاء نقرأ بعد هذا قوله ـ جل شأنه ـ خطاباً لنبيه خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الكهف:٢٧].

والتلاوة هنا تلاوة للعمل الذي يجعل المبادىء التي تنزل بها وحي السماء، تأخذ طريقها إلى أن تكون قاعدة بناء الإنسان المؤهل لحمل الرسالة إلى بني الإنسان، والمحور الذي تتحرك على مواقعه حياة الفرد والجماعة، والمنهج الذي يتحقق معه الانضباط بضوابط الدين الذي يكرم العقل ويعنى بإنارة القلب، وتقدير إنسانية الإنسان!

ويحملنا المعلم القرآني مرة أخرى إلى واحد من وجوه الهداية، نبصر معه أن الإخلاص لله من الدعائم الأساسية في بناء شخصية العاملين المؤهلين؛ فمع الإيمان والعمل الصالح اللذين سبق ذكرهما، نجد هنا دعوة إلى الإخلاص والتعاون مع المخلصين، كيما يستقيم هؤلاء العاملون الذين اختارهم الله للجُلَّى، على الطريق، يشد بعضهم أزر بعض، ويكونوا ـ بعون الله ـ أقدر من صوارف الرغبة والرهبة، وما يعترض سبيل الخير من نزعات وأهواء!!

ذلكم قوله ـ جل ذكره ـ إرشاداً للأمة ـ إلى قيام الساعة ـ من خلال خطاب النبي ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨].

وبعد: فهذا أوان أن نستذكر ما صنعت وتصنع هذه الآيات ونظراؤها في كتاب الله المجيد، مما تزخر به معالمه النيِّرة المباركة في دنيا الناس ـ سابقاً ولاحقاً ـ على ظهر هذا الكوكب، حين بدَّلت وجودهم من جاهلية جهلاء مظلمة، إلى إسلام هو الهدى كله والنور كله. وحين أدركوا ـ ويدركون ـ أن مهمتهم لا تقتصر على أن يؤمن الواحد منهم وكفى، ولكنها مهمة البناء المحكم المتوازن على المنهج الرباني الذي

يتناول الفرد والجماعة والأمة. فانطلقوا بناة صادقين مخلصين، يعمرون الأرض التي استخلفهم الله فيها، عمارة تتسم بشمولها الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.. يفعلون ذلك وهم على بينة من أمرهم في توكيد القاعدة الإيمانية للبناء، توكيداً لا يتجاهل الواقع، ولا سنن الله في الكون، كما لا تعوزه النظرات الدقيقة المتكاملة، مع صدق النية، وصفاء التوكل على الله..

ولنعم ما أشرق به المعلم القرآني في سورة الكهف وأعطى، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

شخصية المسلم.. ومكونات البناء
الفتية المؤمنون.. وختام سورة الكهف

«٩»

أن نكون قادرين على إحكام الربط بين تكوين الشباب وإعدادهم الروحي والعقلي والجسمي، وبين مهمة البناء التي يفترض أن يحمِّلوها. أمر على غاية الأهمية، والحرصُ على ذلك لا بد أن تظهر آثاره في مناهج التربية والتعليم والإعلام، وبخاصة إذا كان من ولاهم الله مهمة الإعداد على حسن تصور للواقع وأبعاده كلها، والأسباب التي أسهمت ـ وتسهم ـ في أن يكون على ما هو عليه.

على هدي هذه الحقيقة: تجدر متابعة النظر فيما أوحى به المعلم القرآني في سورة «الكهف» من ضرورة القراءة المتدبرة الواعية لموقع الصفات التي وصف الله بها أولئك الفتية الذين سماهم، «أصحاب الكهف والرقيم»: من قصتهم نفسها كما جاءت في الكتاب العزيز ولموقع القصة ـ بعمومها من هذه السورة المباركة ـ سورة الكهف ـ.

والعهد قريب بما رأينا عند النظر في بعض الآيات هناك من التناسق البديع بين فواتح السورة، وبين ما قصَّ الله علينا من تميُّز أولئك الفتية بتلكم الصفات التي بدئت بالإيمان وانتهت إلى مستوى الوقفة الصامدة في وجه طاغوت الوثنية، حتى كأنك تنتقل على سلَّم منهجي من المبادىء العامة النيِّرة بدءاً من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ﴾ الآيات، إلى العناصر الأساسية في تكوين من تختارهم العناية الإلهية لحمل تلك المبادىء ظاهراً وباطناً، بصدق وإخلاص بالغين.

وقل مثل ذلك فيما كان من تناسق البيان المعجز، بين القصة وبين الآيات التي تلتها مباشرة من السورة.

ومن خلال هذه الرحلة التي نسعد بها مع المعلم القرآني المضيء: نقرأ في خواتم سورة «الكهف» قول الله جل شأنه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴿١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٨] .

وهكذا تكشف الكلمات الهاديات بتحديد واضح ـ لا يأتيه اللبس من بين يديه ولا من خلفه ـ عن حقيقة الأخسرين أعمالاً، وعن العاقبة السوأى لأمرهم، كما تكشف ـ بإيضاح يفرح قلوب المؤمنين ويزيدهم إيماناً ـ عما ينتظر الذين آمنوا وعملوا الصالحات من حسن العاقبة خلوداً في الجنة، وفوزاً برضوان الله يوم المعاد، بعد أن شرفوا بالعمل الصالح في الدنيا ولم يشركوا بعبادة ربهم أحداً.

إن الأخسرين أعمالاً ليسوا من صفات الفتية أصحاب الكهف الذين أشرق الوحي السماوي بالحديث عنهم حديث الرضا والثناء.. في شيء، ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات: هم الذين يشاركونهم ـ كما تدل الآيات البينات ـ ما أكرمهم الله به من الإيمان وزيادة الهدى، والربط على قلوبهم في معارك الصراع بين الحق والباطل ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون. والماضي مع الحاضر في هذا على حد سواء، على ما قد يطرأ من اختلاف الوسائل وألوان التحدي والسلاح!!

ولقد كان من صدق الدعوة المحمدية: أنها مكَّنت لبناء الإنسان بناءً متكاملاً على الوجه الذي ينبغي، فكان الإنسان الذي يستظل صادقاً برايتها، الإنسانَ الأنموذج العملي لما دعت إليه من مبادىء، وطرحت من قيم هي الحق المبين كلُّه، والنور المبين كلُّه.

من أجل ذلك كان الحرص على إبراز التكامل بين المقومات الشخصية والفكرية لأولئك الفتية الأبرار، الذين لم يهابوا قوة التيار؛ لأنهم يأوون إلى ركن شديد أقوى منه، وبين موقع قصتهم التي ينتظمها سلك أحسن القصص الذي قصَّه الله تعالى على نبيه محمد ﷺ والأمة من ورائه في هذه السورة المكية من القرآن الحكيم.

ولا بد من ملاحظة العبرة من نزول أحسن القصص بصورة مبكرة من عمر الدعوة في العهد المكي، حيث كان هذا التنزُّل والفئة القليلة المؤمنة، تعبِّد بإيمانها وصبرها على أذى الفتنة: الطريق، وتحتفر بصدق الالتزام والطاعة وبذل النفس وملاذ الدنيا: أسس البناء.

ونظرة واحدة إلى واقع عالم الإسلام اليوم، جغرافياً، وفكرياً، واقتصادياً، وسياسياً.. إلخ وما تأخذ المجابهة مع النفس ومع العدو الخارجي من صور وأشكال، وما يحظى به هذا العالم من طاقات لو نُميت وأتيح لها ـ بحرية واحترام لإنسانية الإنسان ـ: أن تأخذ طريقها إلى العطاء الخيِّر والإنتاج المثمر بإخلاص لا يعكره الظلم وتقديس الأنا: لتغيرت المواقع. وأمسكت الأمة من جديد بالزمام، وانقلبت المفاهيم التي تفرض علينا نتيجة الضعف والفرقة والتخلخل.. وإلغاء وجود الإنسان في كثير من الأحيان!!

أجل: نظرة واحدة إلى هذا الواقع، جديرة أن تشد ذوي الرأي وصناع القرار فينا ـ أن لو صدقت النيات ـ إلى المسارعة الحصيفة الواعية في الاتصال الدقيق بالحقائق التي يجب أن تكون، في تنمية المقومات الجوهرية لشخصية المسلم ذكراً كان أو أنثى، المسلم الذي هو أمل الأمة بعد الله، بل أمل الإنسانية كلها. وما الله بغافل عما يقترف أعداء الحق والإنسان.

* * *

obeikandl.com

المسؤولية.. والبناء
والهدي النبوي.. والشباب

«١٠»

لا يعوز الناظرَ المتأمل في حديث رسول الله ﷺ وسيرته خلال رحلة البناء للإنسان بناءً يعدُّه ليكون لبنة صالحة في مجتمع تظلُّه راية الإيمان.. أن يقع على الكثير من عرى الترابط بين معالم القرآن الكريم على هذه الساحة، وبين هديه صلوات الله وسلامه عليه في تربية الفرد والجماعة على الإحسان في محل المسؤولية، وأداء الواجب المطلوب أداؤه على الوجه الذي ينبغي.

وأنت واجد أن هذه العرى التي تحكم الترابط المومى إليه، تبدو أوضح ما تكون عندما يكون المعنيون بخطاب الهداية هم الشباب الذين يراد لهم ـ فيما يراد ـ أن يكونوا على المحجة التي يحدِّد معالمها ويضيء جنباتها القرآن الكريم فيما رسم لتأصيل مقومات البناء والنماء!

ومن خلال المعلم القرآني الذي أشرق به ما جاء في الكتاب العزيز من تعريف بالفتية أصحاب الكهف والرقيم الذي نجده في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾[الكهف: ١٣-١٤] .

من خلال هذا المعلم المبارك، وما يُرى من عطائه المتعلق بالشباب، وإعدادهم لحمل رسالة الخير في أنفسهم وفي المجتمع والأمة، وتنمية قدرتهم على المتابعة بصبر ومصابرة واستعلاء على المعوقات من داخل النفس ومن خارجها.. نقع على لون من ألوان الهدي النبوي على صعيد الاهتمام البالغ بالوقت، خصوصاً عندما يكون ظرفاً لسن الشباب، حيث تطالعنا النصوص بتقرير ما يجب أن يكون عليه وضع العلم والمال في عملية البناء التي ينبغي أن تحقق فيما تحققه من ثمرات: سعادة الدارين، والرقي بالجماعة إلى ما فيه العزة والتمكين ومرضاة الله تبارك وتعالى.

ذلكم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه» أخرجه الترمذي والطبراني من رواية أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ولا يعوزك الكثير من التأمل كي ترى في هذا الحديث ارتفاعاً بالإنسان المسلم. إلى مستوى المسؤولية المحيطة من هنا وهناك، فهو إنسان صاحب رسالة، يصحبها منهج سليم يحقق العلم والعمل؛ وهو بهذا مسؤول ـ وقد أُهِّل لاستقبال خطاب التكليف ـ عن كل صغيرة وكبيرة أمام الله عز وجل. وليس مخلوقاً هملاً حظه من الحياة أن يأكل ويشرب ويؤدي مهمة بقاء النوع. وإذا كان الأمر كذلك: فلن ينجيه يوم يقوم الناس لرب العالمين، إلا أن يكون قد ملأ الوقت في عمره المحدود بعامة، وفي مرحلة الشباب بخاصة، بما يعود على نفسه وأهله ومجتمعه بالخير، وأن يكون قد وضع ما آتاه الله من القوة والعزيمة ومن العلم والفقه في الدين على طريق العمل الذي هو إنفاذ أمر الله ونهيه فيما شرع لعباده في شؤون العبادة والتعامل والسلوك وكل ما هو من ذلك بسبب.

ثم أن يكون قد اكتسب المال الذي في حوزته من الطريق الحلال الطيب، وأنفق ما أنفق منه في السبل المشروعة المرضية لله عز وجل.

أرأيت إلى هذه الإحاطة التي نعود إن شاء الله إلى شيء من تفصيلها، كيف أنها من أقوى ضمانات الاستقرار في المجتمع؟!

إنها حرمة الوقت ـ وبخاصة أيام الشباب ـ وحرمة العلم أن يعمل به صاحبه في نفسه وفيمن ولاه الله أمرهم، فيسهم في إضاءة طريق الأمة في ثقافتها وبُناها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وما إليها ـ لا تستثن ميداناً من الميادين ـ؛ لأن الوقت يكون منها بحسبان والمال بحسبان والعلم بحسبان!!

ولنا عودة إلى هذا المعين الثَّر الذي يشرق بالأهمية البالغة المعطاة في الهدي الرباني لبناء الشباب. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

البناء.. بين الوقت والشباب والهدي النبوي

«١١»

في عود إلى حديث الوقت والشباب إنفاذاً للوعد بذلك، نلاحظ أن الذي دلَّ عليه المعلم القرآني في كلام أولئك الفتية الذين خالط الإيمان بشاشة قلوبهم، وزادهم رب العالمين هدىً مع هداهم: هو ـ بإذن الله ـ ضمان النجاة عندما يوضع المرء أمام المسؤولية وجهاً لوجه، وبخاصة تلك التي تكون بين يدي الله عز وجل، يوم لا تزول قدما عبد من العباد، حتى يسأل عن أربع: «**عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**».

إن كل أولئك الذين تعنيهم قيمة الوقت، وما يمكن أن ينجز في مرحلة الشباب من العمل المثمر الذي قد يتجاوز الفرد إلى الجماعة، بل وإلى الأمة بأسرها.. إن كل أولئك الذين يشرفون بهذا الإحساس الدقيق، يمكن أن يقدروا كلمات الرسول ﷺ الهاديات في ظل المعلم القرآني حين يقول صلوات الله وسلامه عليهم: «عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه» ما مدلول هذا الاهتمام بمرحلة الشباب؟!

إن الوقت لا يقاس بساعاته وأيامه ولياليه، ولكن يقاس بما أنجز فيه من الخير؛ الليل هو الليل، والنهار هو النهار، ولكن شتان بين ساعات ملئت بمقومات البناء التي تعود على الإنسان ومجتمعه بالقوة والنماء ديناً ودنيا، وبين ساعات تضيع بالعبث العابث في كهوف الشهوة، وانعدام الشعور بالمسؤولية طلباً للراحة والعافية المزعومة!

وهنا ـ ونحن نذكر عناية القرآن بإبراز ما كان عليه أولئك الفتية الذين ربط الله على قلوبهم في مواجهة مجتمعهم الضائع؛ نجد في هدي النبي ﷺ أن العمر الذي تزينه مرحلة الشباب وغيرها لم يمرَّ السؤال عن هذا العمر ـ بعامة ـ كيف أفناه

الإنسان، دون السؤال عن شبابه ـ على الخصوص ـ كيف أبلاه وفيم؟ إنها قضية تستوقف المربيَ والناقد البصير ـ كما أسلفنا ـ؛ فالشباب بما يميِّزه من القدرة المتناسبة مع المرحلة، والطاقات الفاعلة المؤثرة، يقابل العطاءَ فيه عهدةٌ أثقل، ومسؤولية أعظم وأوسع؛ فبمقدار توافر العناصر القادرة على هدم الفساد والتفلُّت، والصبر على ما لا بد منه لبناء القوة الذاتية في الفكر والاجتماع والاقتصاد والتخطيط وما إلى ذلك: تتفاقم الأمانة، ويتسع حجم المسؤولية في الدنيا ويوم المعاد.

من أجل ذلك ـ والله أعلم ـ خصَّ رسول الله ﷺ الشباب ـ وهو يعتمد بعد الله إلى حد كبير على الشباب في بناء المجتمع والدولة ـ خصَّه بهذا الاهتمام والكشف عما يتعلق به من المسؤولية المتميزة؛ فكشف عن ضرورة ملء الوقت أيام الشباب ـ أكثر من أي حقبة أخرى ـ بالعمل المجدي، والعطاء المتدفق الذي يسهم في البناء متجاوزاً الصعاب والمعوقات من داخل النفس وخارجها.

ولسوف نكون قادرين ـ بعون الله ـ على تجنيب شبابنا وفتياتنا ـ أذى السلبية والانحراف، إذا نحن قدرنا إنسانية الشاب وحريته المنضبطة بالحق قدرها، وعملنا بمنهجية وموضوعية لا يعوزهما الأسلوب التربوي المجدي، إذا وضعناهم بحكمة لا تنافي الفطرة على الجادة التي دلَّ عليها المعلم القرآني، وزادنا استنارة بأبعادها هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ وبذلك يعطي الشباب عطاءه المتميّز ويفلح في ارتياد ميادين الصلاح والإصلاح، تلك الميادين التي تحتاج أول ما تحتاج إلى الأقوياء الأمناء!

هذا: ووجه الترابط الذي نلمسه بين الهدي النبوي في إبراز مسؤولية الإنسان عن عمره عموماً، وعن شبابه بالخصوص، وبين المعلم القرآني الذي يرشِّح الشباب المؤمن للمهام الكبار، مهام التغيير إلى ما هو الأقوم والأفضل، والبناء القائم على أسس سليمة جدَّ سليمة.. إن وجه الترابط هذا: يضع أيدي الذين تؤرقهم عملية البناء في الأمة على مكمن الداء، ومفتاح الشفاء.

ولن تضيع أمة تتخذ من معالم القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبيان هذه المعالم من هدي من لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه، نبراساً كريماً لا تحيد عنه، الأمر الذي يمكنها من الإفادة من معطيات العلم، وتجارب الآخرين دون عدوان على الذاتية والأصالة وصنع الرأي باستقلالية مبصرة.

ومن المهم ـ دائماً ـ أن يوضع الوقت في الموضع الذي وضعه فيه الهدي الرباني في الكتاب والسنة، وانتفع بذلك أيَّ انتفاع بُناة حضارة الإسلام المثلى؛ لكيلا يدوم التعثُّر وتتجدد الندامة ولات ساعة مندم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الشباب.. وزيادة الهدى
الشمول والحكمة.. في الهدي النبوي

في واحدة من صور البيان النبوي لمعالم القرآن الكريم في شأن إعداد الشباب ـ إعداداً متسماً بالتكامل مادةً ومعنًى ـ يجنبهم المزالق، ويرتفع بهم إلى مستوى المسؤوليات الكبار، وقفنا فيما سبق من القول على واحدة من شذرات الهدي النبوي، سداها ولحمتها: أن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لم تشغله مهمةُ تبليغ الرسالة ـ وهو المبلغ عن ربه ما أراد ـ تعليماً ـ وتربية، وإعداداً، والعملُ على بناء الدولة المسلمة الفتية امتداداً للمجتمع المسلم، كما لم تصرفه ضرورات مواجهة الأعداء من مشركين ويهود ومنافقين.. عن أن يقف في واحدة من رحبات المدينة ليقول لفتية من أبناء المهاجرين والأنصار يتحضنون أقواسهم بعزة المؤمن وصرامة الشباب، فيرمون بالنبل ويتراشقون استعداداً لمشاركة آبائهم وأعمامهم شرف الجهاد في سبيل الله.. ليقول ـ كما روى البخاري وابن حبان وأحمد وغيرهم ـ لهؤلاء الفتية من الجيل الجديد الذين تلمح في محيَّا كل واحد منهم عزمة الإيمان وبصيرة الأمل: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً**». وإنها لكلمات عظيمات جوامع، من أعظم المربين وأكرم الأنبياء!

ودلالة ذلك ـ فيما يبدو ـ: أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يرى ـ وهو يقود معركة البناء الشامل المتكامل ـ في هؤلاء الفتية الذين زانت قلوبهم. وهم يبدؤون خطواتهم على الطريق الصاعدة ـ إشراقةُ اليقين، ونطقت سواعدهم بالتعرف إلى منهج التمكين، صور من صورة الإرادة الإلهية بنصر الدعوة وتثبيت أركان الرسالة.

وهل كان أصحاب رسول ﷺ ـ وهم الرعيل المتميز الفريد الذي حمل رسالة الإسلام عن الرسول الأمين إلى الدنيا ـ إلا شباباً!!

إنها لواقعة ـ وما أكثر نظراءها ـ تأخذ أبعادها في ظل كثير من المؤشرات في القرآن الكريم؛ فمع التناسق التربوي الذي ألمحنا إليه من قريب بين البيان العملي منه عليه الصلاة والسلام، حين نزل إلى الميدان، فمارس بناء الشباب بالتربية والتعليم والقدوة، تعليماً للأمة من أين وكيف تنطلق باستعلاء على قيود الزمان والمكان، وبين المعلم القرآني في قوله تعالى عن أصحاب الكهف في سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾.

أقول: مع هذا التناسق والتناغم الواضحين، نجد النسب متصلاً بين هذا الهدي المبارك الفذ، وبين قول الله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧] .

وإذا كان الأمر كذلك: فماذا عليك لو قلت بملء فيك؟ أوليس من زيادة الهدى، أن يكون الشباب ـ في حقيقة الأمر ـ على سواء الصراط الذي يجعلهم بحق عُدَّة الأمة في مواجهة التحديات؟!

فإذا كانت التحديات اليوم لا تقتصر على ميدان دون آخر؛ فهي في الفكر والاجتماع والاقتصاد وميادين القتال، على أحدث ما تقدم ثقافة الحضارة الغربية، والعلم التقني لأصحابه.. فإن من زيادة الهدى أن يعزم الشباب المؤمن عزمه بمنهجية وإصرار وبصيرة، على الثبات، والتزام الطريق الصاعدة، كيما يكونوا على المستوى الذي تفرضه التحديات في مختلف الميادين، وتوجبه ترجمة القناعة الإيمانية والاستنارة العقلية والعلمية، إلى عمل يضع الأمور مواضعها دون وكس ولا شطط وهو ـ سبحانه ـ معهم يربط على قلوبهم.

ومن البداهة بمكان: تقرير أن الأمة يجب أن تكون مع هذا الرعيل من محط رجائها الطموح ـ بعد الله عز وجل ـ بالإعداد الإيجابي على قاعدة راسخة من الإيمان والتعريف بالواقع وأبعاده وملابساته، وبإزالة العوائق الاجتماعية والنفسية التي كثيراً ما تكون انعكاساً للظلم، ومصادرة الحريات، وانتهاك حرمات الإنسان من حيث هو

إنسان، والتي قد تحول بين كثير من الشباب، وبين أن يكون عطاؤهم على المستوى المكين المطلوب؛ ناهيك عن الإصابة بمرض التشاؤم وحب العافية، أو الانحراف والتفلُّت، الأمر الذي قد يؤدي إلى الانسلاخ عن جسم الأمة وصدق الانتماء إليها لا سمح الله.

ألا إن هداية المعلم القرآني، وبيانه من سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام أمانة، لا في أعناق الشباب فحسب، ولكنها أمانة في أعناق كل القادرين على الإسهام في أن يكون الفتية والفتيات على طريق أسلاف لهم أملَوا كلمة الإسلام على التاريخ، وبنوا على خير الأسس وأكرمها حضارة الإنسان المثلى لبني الإنسان. وصدق ربنا جل جلاله إذ يقول: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء:٩] وإذ يخاطب نبيه ﷺ الذي أولاه أمانة البيان لكتابه الكريم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرًا وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيراً ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿٤٧﴾ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٨] .

* * *

obeikandl.com

ارموا بني إسماعيل..
الشباب.. وحرية الإعداد

الأمة التي تريد أن تطلَّ على المستقبل بعيون أبنائها، وتمهِّد قواعد البناء بسواعد شبابها، هي تلك الأمة التي لا تعتريها السآمة، وهي تُعِدُّ وتكوِّن بمنهجية وصبر، فتيانها وفتياتها على النهج السويِّ المفعَم بإنسانية الإنسان وحريته، كيما يخوضوا معركة البناء والتحدي، ويكونَ وجودهم الممتد بعزيمة وأصالة إلى كل ميدان: صورةً من النمو المطرد في قدرة أمتهم وأهليتها الفاعلة على أرض العطاء!

والأمة الإسلامية التي أعزَّها الله بالإسلام، وعهد إليها بالرسالة الخاتمة لتكون خير أمة أخرجت للناس، على ما واجهت وتواجه من نكبات، وما دبِّر ويدبَّر لها من مكائد! تظل صاحبة القدرة المتجددة على تجاوز الصعاب، حين تحسن صلتها ـ بقوة إيمان وصدق عزيمة ـ بكتاب ربها، وبيانه من سنة نبيها عليه الصلاة والسلام، أن لو وعت ما يجب من وضع هذه الحقيقة على بساط منهجي لا يعوز أصحابه صدق الاهتمام ومعرفة الواقع كما هو!

ولقد أسعدنا ـ كما اتضح من قريب ـ ما رأينا في واحد من المعالم القرآنية من دعوة إلى الإحسان في بناء الشباب على العقيدة التي هي القاعدة الصلبة لذلك البناء، وتنمية قدرتهم على إعلان كلمة الحق التي أدبر عنها المجتمع طائعاً أو مكرهاً بحرية ورباطة جأش.

ولسوف يظل قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ منارة من منارات الهدى لهذه الأمة حين

تريد ـ بحق وهي غير مغيَّبة عن التاريخ ـ أن تطلَّ من جديد على المستقبل المؤذن بالأصالة والذاتية بعيون أبنائها، وتمهد قواعد البناء والنماء بسواعد شبابها، شبابها الذين رضعوا لبان العقيدة، وولَّوا وجوههم بإيمان ووعي شطر استئناف المسيرة الظافرة، التي يسعى نورها بين يدي جند الحق في دنيا الحضارة المثلى والتكامل الذي من عطائه تحقيق الوجود الإنساني للإنسان!

ولقد أعطى الترابط الوثيق بين المعلم القرآني وبين بيانه من هدي النبي ﷺ على صعيد التربية والإعداد بعداً متميزاً يُشعر بعظم مسؤولية الشباب، وضرورة بنائهم بناءً متكاملاً في القلوب والعقول والأجسام والثقافة والتصور، بدءاً من مرحلة الطفولة المبكرة، الأمر الذي يجعلهم ـ بعون الله ـ كفاء هذه المسؤولية في دين الأمة ودنياها، ولنذكر دائماً قوله عليه الصلاة والسلام وهو يبدع في تبيان المسؤولية في الآخرة ـ كما أسلفنا ـ: «.. **عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه**».

والذي يدل على أن الشباب ـ كما يوحي به قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴿١٣﴾﴾ ليسوا لأنفسهم فحسب، ولكنهم لأنفسهم وللأمة في كل ميدان لا ينهض بأعبائه إلا الشباب: ما يرى الناظر المدقق في سيرة النبي ﷺ من وقائع وتوجيهات كان منها ما جاء في المصادر الموثقة من أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رأى نفراً من أسلم يتدربون على الرمي والإحسان في إصابة الهدف، فقال لهم: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً**» بل شاركهم تحركهم المبارك، ويتضح الأمر أكثر وأكثر إذا ضممنا هذه الكلمات النيرات إلى قوله ﷺ: «**لا إن القوة الرمي**» رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

إنها الممارسة العملية لإعداد هؤلاء الشباب ـ ومن ورائهم الأمة على مدى الدهر ـ وقد آمنوا برسالة الإسلام، إعداداً يصلحون معه لمواجهة المرحلة الجديدة ـ مرحلة البناء المتكامل لمجتمع يقوم ـ وهو نواة الدولة المسلمة ـ على قاعدة الإيمان، ويتسم بتكامل البُنى مجتمعة، فلا خواء من الناحية الروحية، ولا عرج من الناحية

الاقتصادية، كما لا ضعف في أبنائه على صعيد الفكر أو المواجهة في ساحات الجهاد: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً**» يأمرهم ـ وهو الرسول القائد ـ ويشجعهم ويوجههم إلى المثل، والشباب يرغبون في القدوة والمثل، يسيرون على هديه، ويترسمون خطاه.

إن فعل النبي ﷺ هذا مع قوله في التذكير بالمسؤولية: «**وعن شبابه فيما أبلاه**» دليل واضح على ضرورة استنفاد كل الأسباب التي من شأنها تنمية إمكانات الشباب، ووضع طاقاتهم موضعها المناسب المنتج، بتسييرها في قنواتها الطبيعية كيما تكون عنوان حياة الأمة ومنهجيتها، ووجودها المشرِّف المميِّز بين أمم الأرض؟

ولعل من الخير التذكير بأن قوله ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل ـ أو يا بني إسماعيل ـ فإن أباكم كان رامياً**» جزء من حديث فصَّلت رواية الواقعة التي قيلت فيها هذه الكلمات النيرات، تفصيلاً يدل ـ أول ما يدل ـ على عظمة الأسلوب التربوي عنده عليه الصلاة والسلام في دعوة الشباب إلى الإعداد للجهاد، وكيف كان يعطي كل قضية ما تستحق بذلك الأسلوب الحكيم.

ولفظ الرواية عند البخاري: ما روى بسنده عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال النبي ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل فإنَّ أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان**» . قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ـ وعند أحمد (فأمسكوا أيديَهُم) ـ أي عن الرمي ـ فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكم لا ترمون؟**» قالوا: وكيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: «**ارموا وأنا معكم كلِّكم**» .

يتناضلون: يترامون، من تناضل القوم إذا رموا للسبق. وقوله: فأمسكوا: أي الفريق الآخر تأدباً من السبق على قوم معهم سول الله ﷺ.

* * *

obeikandl.com

معاقل القوة.. والبناء
زيادة الهدى.. ومسؤولية الشباب

إن شمول رسالة الإسلام شؤون الحياة كافة، وكون هذا الدين هو الذي ارتضاه الله لعباده، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم هو منبع الهداية الأول.. كل هذه الأمور مجتمعة، تفسح للمؤمن في آفاق الهداية ـ بما تتسم به في ضوء هذا الدين من عمق وشمول ـ فيرى أن زيادة الهدى في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾[محمد:١٧] مطلوبة في كل شأن من شؤون الفرد والجماعة والأمة، لا تستثن ميداناً من ميادين الحياة، ما دام المحور هو الإسلام؛ لأن هدايته تضيء السبيل القويمة لكل شؤون الحياة!

أرأيت إلى هذه الآية الكريمة في سورة «محمد» ﷺ كيف جاءت بالكشف عن استنارة المؤمنين بنور الهداية، مضيئاً بها عقولَهم وقلوبهم وجميع تصرفاتهم، بعد الكلام على المنافقين وسوء تقديرهم وتدبيرهم لما أن الله قد طبع على قلوبهم جزاء اختيارهم هذه الطريق الهابطة المظلمة!!

ذلكم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾[محمد ١٦-١٧] .

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئاً؛ فإذا خرجوا من عنده ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة رضي الله عنهم ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾أي الساعة. لا يعقلون ما قال، ولا يكترثون له. قال الله جل ثناؤه: ﴿ أُولَٰئِكَ

﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي : فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح. ثم قال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾أي والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها وثبتهم عليها، وزادهم منها ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾أي ألهمهم رشدهم).

فإذا أراد الله بالأمة خيراً، أضاء دروبها بزيادة الهدى؛ فكان لها من شبابها الصورة المثلى لنماء قدرتها الذاتية، واستقلاليتها عند البناء، وضوابطه الخيِّرة التي تضمن ـ بتوفيق الله ـ القوة والاستمرار، والأخذ بوسائل التغيير إلى ما هو الأفضل والأقوم، الأمر الذي يسعف في أن تستنير الأجيال بنور تلك الهداية، وتكون أقدر على الثبات على الحق الذي نزل به الكتاب، والمواجهة الدقيقة المنهجية لمواجهة التحديات!

ولكم نعاني اليوم ـ بل ومن عدة عقود ـ من مشكلة التقنية على سبيل المثال، وكل الرواد والمصلحين ينادون: حتى متى يستخدم غيرنا العلم التقني ـ هذه العصا السحرية ـ في التصنيع الذي يشمل الإنتاج المتجدد المتطور للسلاح ـ فضلاً عن غيره ـ وتكون دنيا العالم الإسلامي ـ على رحبها ـ هي المستهلكة؟! هم يُنتجون ونحن نستهلك!! وينجرُّ دلك حتى على أخطر القضايا ذات التأثير الفعلي في حياة الأمة ومستقبل أجيالها.

فهل يكون الشباب قنطرتنا إلى نوع من الوجود الذاتي في المضمار التقني، فيشارك المسلمون في صنع ما يستهلكون، ولديهم من مقومات ذلك ـ لو أتيح لتلك المقومات أن توضع موضعها على أرض من الحرية وكرامة الإنسان ـ وبذلك يستأنفون مسيرة الخير في هذا الجانب من البناء، ويرضى الله عنهم ورسوله، ويصبح في مقدورهم أن يكونوا هم وحدهم صُنَّاع القرار الذي يمسُّ مصالحهم ووجودهم من قريب أو بعيد؟!

وإذا ذكرنا أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ يحمل البشارة العظيمة بتوفيق الله أولئك المؤمنين البناة بزيادة هداهم، رجاحة عقل، وطمأنينة قلب، وحسن فهم وتدبير على صعيدي الدنيا والآخرة في مقابل قوله جل شأنه في شأن المنافقين الذين عميت منهم البصائر، وغشيَ الرانُ القلوب، فكانوا في المجتمع عناصر هدم وتخذيل وتخلُّف﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

إذا ذكرنا ذلك بتدبر وإمعان: تأكد لدينا ما لقصَّاد الهدى بصدق من فضل الله في زيادته على الوجه الذي ألمحنا إليه من بُعد على طريق البناء الذاتي للأمة، البناء المبرَّأ من عوامل التبعية في الفكر والتصور والثقافة؛ لأنه ليس مهماً أن توجد الأمة، وتكون ظلاً لغيرها ممن لا يرقبون فيها إلاًّ ولا ذمة، ولا يرعوون عن الإساءة إليها ومظاهرة المعتدين والغاصبين الماكرين، ولكن المهمَّ حقاً أن تكون لها البنية الذاتية المستقلة، والنماء النابع من هذه الذاتية التي أثمرتها ضوابط الدين الحنيف في ظل قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠]

من هنا كانت ضرورة العناية بإعداد الشباب بمنهجية واعية على الوجه الطموح الذي يرتفع بهم إلى تحقيق هذه الغاية، حيث تسلك السبل المؤدية إلى هذا التحقيق بقناعة يقينية وعزيمة راشدة.

صحيح أن الواقعة التي ألمحنا إليها من قبل ـ واقعة لها خصوصية التدريب على السلاح كيما يصل الشباب إلى المستوى المطلوب في الرمي، ولكنها في دلالتها ترسم صورة الاهتمام البالغ والعناية الجادَّة بتربية الشباب على التميُّز في الشعور بالمسؤولية والقدرة على تحقيق الغايات الكبار في الحرب والسِّلم، والكشف عن دورهم الأوليِّ البارز في المجتمع المسلم والدولة المسلمة، بأصالة وصدق انتماء، وعِظم الغايات التي يرام الوفاء بها بسواعدهم. لا بالسواعد المستعارة التي لا تثمر في خاتمة المطاف إلا ما يبعث على الندامة ولات ساعة مندم!!

وما بدٌّ من استذكار أن القائم بهذا الصنيع، اهتماماً بالغاً وعناية جادّة بهذا اللون من ألوان الطاقة البشرية في الأمة، هو الإنسان الأول في الأمة، رسولها وقائدها الذي لا ينطق عن الهوى، وطاعته صلى الله وسلم وبارك عليه من طاعة الله.

إنها قضية كبيرة في مدلولها، وبخاصة ما توجه إليه من وجوب أن يتأسى القائمون على التربية والتعليم والإعلام بالرسول ﷺ بهذا، مفيدين من كل ما يرفد هذه الحقيقة من وسائل متجددة لا تتنافى مع عقيدة الإسلام وسلامة التصور الإسلامي.

أجل وإنها لقضية جذرية في مضمونها على ساحات البناء والإنماء في مراعاة للواقع والعطاء المتجدد للعقول على الصعيد الإقليمي والصعيد العالمي.

إن موقف التأسي بالنبي ﷺ وبمن استنَّ بهديه عبر تاريخنا المجيد في هذه القضية الكبرى ونظائرها، كفيل بإدراك الأبعاد الميمونة المترامية الأطراف لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ والانتفاع بما تعنيه هذه الأبعاد من تكييف المناهج التعليمية والتربوية والإعلامية وكل ما يمت إلى ذلك بصلة، كيما يتوافر لها ـ شكلاً ومضموناً ـ عنصر الحركة القادرة ـ بعون الله ـ على وضع الشباب المصونة حقوقهم في الحرية وتقدير المواهب : موضعهم اللائق في المجتمع والدولة من خلال الضوابط الإسلامية غزيرة العطاء، الأمر الذي يبرز طاقاتهم ومواهبهم على صعيد الإنتاج المثمر، ودفع المركب الحائر إلى حيث الوجهة السليمة والصراط المستقيم، ثقافةً وتصوراً وتطبيقاً، وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

obeikandl.com